

غزق أسطول الطليان<sup>(١٤)</sup>.

انتقل الاسطول من المحاصرة الى الاعتلال، فانتقل القسم من المظاهرات الى التطوع القتالي و«انتقى ٢٥٠ متطوعاً، وقام بحملة تبرعات كي يؤمن معاش هؤلاء الرجال وعائلاتهم. واتصل بالسلطات العثمانية، فأبدت ترحيباً حاراً، وطلبت من هؤلاء المتطوعين السفر الى الاسكندرونه، كي يستقلوا باخرة الى طرابلس الغرب. وبعد أن وصلوا الى اسكندرونه، انتظروا فيها أربعين يوماً دون جدوى. ثم تلقوا الأمر من السلطات بالعودة الى بلدهم، فبنوا مدرسة بمال التبرعات لتعليم الأميين»<sup>(١٥)</sup>. وكان سبب اعادتهم أن تركيا اعترفت بضم ليبيا الى ايطاليا بمعاهدة ١٩١٢/١٠/١٨، فقاتل الليبيون وحدهم، واستعاد القسم درس الخديوي توفيق مع ثورة عرابي.

### ثورات الشمال: استكمال الدروس والتجارب

بين اعلان الحسين بن علي، الثورة على الأتراك في مكة (١٠ - ٦ - ١٩١٦)، وبين انتكاسة الثورة، في الشمال السوري (١٥ - ٦ - ١٩٢١)، عاش عز الدين القسم تجربته الأغنى، في اطار الثورة المسلحة وتفاعلات الوضع السوري. وخاصة أنه «أول من رفع راية مقاومة فرنسا في تلك المنطقة، وأول من حمل السلاح في وجهها»<sup>(١٦)</sup>. فاندلاع الثورة في جبال صهيون، كان «من نتاج دعاياته»<sup>(١٧)</sup>، كما كان في «طليعة المجاهدين»<sup>(١٨)</sup>.

قبل سقوط الساحل السوري، بيد القوات الفرنسية، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨، باع عز الدين القسم بيته، وهو كل ما يملك، وانتقل الى قرية «الحقة» مع زوجته وأولاده. وفي قرية «الحقة»، أخذ يعطي الدروس التحريضية، تمهيداً لاعلان الثورة<sup>(١٩)</sup>، مستفيداً من الموقع الحصين للقرية، وطابعها الفلاحي.

وتيمناً بما فعله القسم في بيته، قبل خروجه، عمد المجاهد ابراهيم هنانو، الى «أثاث بيته فأتلفه، والى مطحنته فأحرقها، حتى لا يترك للفرنسيين مجالاً للتشفي والانتقام، اذا كانت الغلبة لهم، مستشهداً بالقول المأثور: 'بيدي لا بيد عمر'...»<sup>(٢٠)</sup>.

وعلى أرض الثورة في الشمال، كانت تمتحن مواقف الملاكين الكبار، والذين وقف معظمهم خارج الثورة، وقاد بعضهم (علي بدور - خير بك - الكنج) الجيوش الفرنسية الى مواقع الثوار. وقلة قليلة، انسلخت عن امتيازاتها، وانحازت للثورة، ومن بينها الشيخ صالح العلي نفسه، قائد ثورة جبل العلويين، الذي توفي عن «أربع زوجات وثلاث بنات، وما يزيد عن ثلاثين الف دونم، وقفها كلها لأعمال الخير والبر والاحسان، وبناء مسجد في قرية 'الريستن'، ومستوصف ومدرسة متوسطة في 'الشيخ بدر'، والانفاق عليهما»<sup>(٢١)</sup>. وعزيز آغا هارون، الذي شارك بثورة صالح العلي «وألف فوجاً من المتطوعين يبلغ زهاء أربعمئة مجاهد، جهزهم بالسلاح والعتاد من ماله الخاص»<sup>(٢٢)</sup>.

كانت الثورة، بتنوع تجاربها وتحالفاتها، مدرسة تربي في قلبها الشيخ عز الدين القسم، وتمثل دروسها الايجابية والسلبية، التي صقلت خبراته الأولى في القاهرة وقرية جبلة. ولم تكن الثورة مدرسة منغلقة في الشمال؛ اذ تقاطعت مع كل ماجرى في دمشق، من صراع الأمراء ومساوماتهم، ومراهقاتهم على الدورين الانكليزي والفرنسي. وجربت